الموسوعة الحديثة في تفسير
العهد القديم

سفر التّكوين

ڤيكتور ب. هاميلتون

المحتويات

المقدِّمة 7

أوَّلًا: العنوان 7

ثانيًا: البِنيَة 8

ثالثًا: التَّركيب 18

رابعًا: الفكر اللاهوتيّ 47

خامسًا: مشاكل التَّفسير 61

خامسًا: القانونيَّة 79

سادسًا: النّصّ العبريّ 81

ثامنًا: المراجع 84

النَّصُّ والشَّرح 111

أوَّلًا: التَّاريخ الأوّلي (1: 1 - 11: 32) 113

أ. خَلق العَالم (1: 1-2: 3) 113

1. في البداية (1: 1 - 2) 113

2. اليوم الأوَّل (1: 3 - 5) 128

3. اليوم الثَّاني (1: 6 - 8) 132

4. اليوم الثَّالث (1: 9 - 13) 134

5. اليوم الرّابع (1: 14 - 19) 137

6. اليوم الخامس (1: 20 - 23) 140

7. اليوم السّادس (1: 24 - 31) 142

8. اليوم السَّابع (2: 1 - 3) 152

ب. جَنَّة عدن وساكنوها الأوائل (2: 4-25) 161

1. تشكيل بُستانيّ (2: 4 - 7) 161

2. جنَّة وشجرتان (2: 8 - 9) 172

3. جنَّة وأربعة أنهار (2: 10 - 14) 178

4. حِفظُ كُلٍّ من الجنَّة والوصيَّة (2: 15 - 17) 182

5. مُعِينٌ ملائم من بين الحيوانات؟ (2: 18 - 20) 186

6. خلق المرأة (2: 21 - 25) 189

ج. التَّجربة في الجنَّة (3: 1- 42) 198

1. أساليب المُجرِّب (3: 1 - 7) 198
2. الله والإنسان يلتقيان في الجنَّة (3: 8 - 13) 204
3. عواقب التّعدِّي (3: 14 - 19) 206
4. اسم جديد وسَتر جديد (3: 20 - 21) 216
5. الطَّرد من الجنَّة (3: 22 - 24) 220

د. خلافٌ أخَويّ (4: 1–26) 230
1. قبول قُربان ورفض آخَر (4: 1 - 7) 230
2. قاضٍ ومُجرِم (4: 8 - 16) 240
3. عائلة قايين (4: 17 - 24) 247
4. ولادة شيث (4: 25 - 26) 253

هـ. مِن آدم إلى نوح: عشرة أجيال (5: 1 – 32) 258

و. أبناء الله وبنات البشر: العلاقات غير المشروعة (6: 1 - 4) 274

ز. الطُّوفان العظيم (6: 5-9: 29) 285
1. سبب الطُّوفان (6: 5 - 10) 285
2. الفساد والعنف في الأرض (6: 11 - 12) 291
3. الأمر ببناء الفُلك (6: 13 - 22) 293
4. الأمر بدخول الفُلك (7: 1 - 10) 299
5. بدء الطُّوفان (7: 11 - 16) 304
6. وصول الماء إلى ذروته (7: 17 - 24) 309
7. تراجُعُ مياه الطُّوفان (8: 1 - 5) 314
8. ظهور اليابسة (8: 6 - 14) 316
9. نوح يترك الفُلك (8: 15 - 22) 321
10. عهد الله مع نوح (9: 1 - 17) 326
11. نوح يتعرَّى (9: 18 - 29) 335

ح. جدول الشُّعوب (10: 1-23) 345
1. بنو يافث (10: 1 - 5) 345
2. بنو حام (10: 6 - 20) 351
3. بنو سام (10: 21 - 32) 360

ط. أهل شنعار وبنو سام (11: 1–32) 366
1. بُناة البُرج في بابل (11: 1 - 9) 366
2. سلسلة أنساب بني سام (11: 10 - 32) 376

ثانيًا: دورة إبراهيم، الجزء الأوّل (12: 1 - 17: 27) 387

أ. ظهور أبرام (12: 1-20) 387
1. دعوة إبراهيم (12: 1 - 9) 387
2. أبرام في مصر مع ساراي (12: 10 - 20) 397

ب. انفصال لوط وأبرام (13: 1 - 18) 408

ج. أبرام المُحارِب والملوك (14: 1-24) 417
1. أربعة ملوك ضدّ خمسة (14: 1 - 12) 417
2. إعادة لوط من الأسْر (14: 13 - 16) 424
3. أبرام يلتقي ملِكَين (14: 17 - 24) 429

د. العهد مع أبرام (15: 1-21) 437
1. وعود العهد (15: 1 - 6) 437
2. مراسم العهد (15: 7 - 21) 448

هـ. هاجر وإسماعيل (16: 1-16) 463
1. الخصام يدِبُّ في الأسرة (16: 1 - 6) 463
2. ولادة إسماعيل (16: 7 - 16) 470

و. إعادة تأكيد العهد (17: 1-27) 480
1. تغيير اسم أبرام (17: 1 - 8) 480
2. علامة العهد (17: 9 - 14) 489
3. سارة وإسحاق (17: 15 - 22) 496
4. خِتان إبراهيم وإسماعيل (17: 23 - 27) 501

ملحق I
أوزان الفعل في اللّغة العبريّة الكتابيّة I
نَقحَرَة الأحرف العبريّة II

المقدِّمة

أوَّلًا: العنوان

وصل إلينا العنوان Genesis من الڤولكاتا اللَّاتينيَّة *(Incipit Liber Bresith id est Genesis)*، والتي استعارت اللَّفظ بدورها، أو نَقحرَته،[1] من اللَّفظ *Génesis* [كنِسِس] الوارد في السَّبعينيَّة اليونانيَّة. ومن الأفضل ترجمة تلك الكلمة بكلمة 'الأصل' بدلًا من 'التَّكوين.'

بعد زمن تدوين الكتاب المُقدَّس، استُخدِم العنوان *bᵉrēʾšîṯ* [بِريشِيت] في الأسفار العبريَّة، وهي في الواقع الكلمة الأولى من تك 1: 1 ("في [الـ]بداية") وذلك وفقًا لعادة تسمية أسفار التَّوراة على أساس الكلمة الأولى، أو أوَّل كلمتَيْن، أو تعبير بالقرب من بداية الآية الأولى. وهكذا، فإنَّ عناوين بقيَّة أسفار التَّوراة هي كما يلي: الخروج *wᵉʾēlleh* šᵉmôṯ [وإِلِّه شمُوت] ("وهذه [هي] أسماء")؛ اللَّاويِّين: [وَيِّقرا]؛ العدد *bᵉmiḏbar* [بِمدبَر] ("في برِّيَّة")؛ التَّثنية *ēlleh haddᵉḇārîm* [إِلِّه هَدِّبَارِيم] (هذه [هي] الأقوال).[2] ولكن بعد أنْ نتجاوز الأسفار الخمسة الأولى لا نجد هذا العُرْف مُتَّبعًا في الكتاب المُقدَّس العبريّ إلَّا أحيانًا (مثلًا: "نشيد الأنشاد" *šîr haššîrîm* [شِير هَشِّيريم] و"المراثي" *êḳâ* [إِيكَا]).[3]

استَخدمَت بعض المخطوطات العبريَّة، التي ترقى إلى العصور الوسطى، عناوين مثل 'السِّفر الأوَّل' و'سِفر خلْق العالم' و'سِفر الأبرار.' يكتب الحاخام 'إسحاق أبرابانيل' (1427-1508) في نهاية شرحه لسِفر التَّكوين: "يُدعَى (بريشيث) 'سِفر الخلْق' (سِفر هَبرِّيئا) أو 'سِفر التَّكوين' (سِفر

1 النَّقحرة هي النَّقل الحرفي transliteration (المُترجِم).

2 أحيانا تُختصَر العناوين في الاستخدام العبريّ الحديث على النَّحو التَّالي: *tômeš* [شِمُوت] 'أسماء' بدل الخروج، و*deḇārîm* [دِبَارِيم] 'كلام' بدل التَّثنية، أو يتمّ تغيير العنوان قليلًا: *bammiḏbar* [بَمِّدبَار] 'في البرِّيَّة' بدل العدد.

3 'المراثي' ترجمة للسَّبعينيَّة *threnoi* [ثرِينُوْ] والڤولكاتا *threni* [ثرِيني]، وهي ترجمة للعنوان العبريّ *qînôṯ* [قِينُوت] الذي وضعه له التَّلمود البابليّ (بابا باترا 14ب، 15أ) وكتابات يهوديَّة أخرى مبكِّرة (التَّلمود الأورشليميّ، شَبَّات 16: 15ج، الذي يستخدم التَّعبير *megillaṯ qînôṯ* [مِجِلَّت قِينُوت]).

هَيِّتْسِيرا)." وبالمثل، يكتب (نحمانيدس) في مقدِّمته: "يُعلِّم (بريشيث)، وهو سِفر 'اليتسيرا' أنَّ العالم مُحدَث."[4] كما يطرح مدراش 'هبِّتُّور' السُّؤال التَّالي: "لماذا يُسمَّى بريشيث سِفر اليَشَار؟" ثُمَّ يجيب: "لأنَّه يحتوي على تاريخ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، الموصوفين بأنَّهم أبرار بحسب: 'لِتَمُتْ نَفْسِي مَوْتَ ٱلْأَبْرَارِ [يشَاريم]' (عدد 23: 10)."

من الواضح أنَّ سِفر التَّكوين هو كتاب مَعنِيٌّ بالأصول؛ أيْ بأصل خلْق الأرض، والبشريَّة، والمؤسَّسات التي من شأنها ديمومة الحضارة، وبأصل عائلة واحدة مُحدَّدة اختارها الله لتكون خاصَّته، وعيَّنها لتكون وسيلة البَركة للعالم. لكنَّ كلّ ذلك التَّأكيد على البدايات لا يمسُّ الله؛ حيث لا يرِد ذِكر لـ *Génesis theoú* (أصل الله) في هذا السِّفر التَّمهيديّ للكتاب المُقدَّس، ولا ذِكر لسيرة الله. هو واحدٌ بلا *rēʾšîṯ* [رِيشِيت] (بداية) ولا *aḥªrîṯ* [أحَرِيت] (نهاية).

ثانيًا: البِنيَة

يكشف عدد قليل من أسفار الكتاب المُقدَّس عن الحدود الفاصلة بين وحداته الفرديَّة، مثلما يفعل سِفر التَّكوين. ويرجع ذلك إلى وجود صيغة *ēlleh ṯôlᵉḏôṯ* [إلّه تُولِدُوت] التي تُستخدَم عشر مرَّات خلال السِّفر. يبدو في بعض السِّياقات أنَّه من الأفضل ترجمة الصِّيغة إلى "هذه هي قصَّة (أو تاريخ) كذا." وفي سياقات أخرى، يبدو أنَّ "هؤلاء هم أنسال (أو أجيال) فُلان" هي التَّرجمة الأدقّ. ويعتمد الاختيار بين هاتَين التَّرجمتَين، في الغالب، على طبيعة المادَّة التي تأتي في أعقاب الصِّيغة. فإذا كانت الصِّيغة متبوعة بسلسلة أنساب، تكون الأفضليَّة للتَّرجمة الأخيرة. وإذا كانت متبوعة بخبَر روائيّ أو قصصيّ، تكون الأفضليَّة للأولى. أَمَّا المرَّات العشر التي ترِد فيها الصِّيغة (ونحن نستخدم في ترجمتها 'مواليد' لمجرَّد المحافظة على التَّناسق) فهي:

1. 2: 4 أ: "هذه مواليد السَّماوات والأرض."
2. 5: 1 أ: "هذه مواليد آدم."
3. 6: 9 أ: "هذه مواليد نوح."
4. 10: 1 أ: "هذه مواليد بني نوح."
5. 11: 10 أ: "هذه مواليد سام."
6. 11: 27 أ: "هذه مواليد تارح."
7. 25: 12 أ: "هذه مواليد إسماعيل."
8. 25: 19 أ: "هذه مواليد إسحاق."

4 أيْ مخلوق من العَدَم، وليس قديمًا (أيْ أزليًّا)، كما قال فلاسفة الإغريق (المُترجِم).

9. 36: 1 أ، 9 أ: "هذه مواليد عيسو."
10. 37: 2 أ: "هذه مواليد يعقوب."

يكشف الفحص الدَّقيق للمواضع التي وردت فيها الكلمة أنَّه في خمسة منها يعقب الصِّيغةَ سردٌ قصصيّ: رقم 1 (الخلْق)، رقم 3 (الطُّوفان)، رقم 6 (قصَّة إبراهيم)، رقم 8 (قصَّة يعقوب)، رقم 10 (قصَّة يوسف). في هذه المرَّات الخمس يجب أنْ نفهم الملاحظة التَّمهيديَّة على أنَّها: "هذه هي قصَّة سين." ومع ذلك، فإنَّ معظم التَّرجمات الحديثة للكتاب المُقدَّس لا تسير على نهج واحد. مثلًا: نجد في 11: 27أ: "هؤلاء هم أنسال تارح" (JB) أو "هذا هو سجلّ أنسال تارح" (NEB)، ويرجع ذلك أساسًا إلى وجود ملاحظات متعلِّقة بالأنساب في 11: 27ب-32. إضافةً إلى ذلك، تُترجِم NEB الصِّيغة في 25: 19أ هكذا: "هذا هو سجلُّ أنسال إسحاق، ابن إبراهيم."

أمَّا المرَّات الخمس المتبقِّية من صيغة تُولِدُوت فتظهر كعناوين لسلاسل أنساب: رقم 2 ("أنسال آدم")، رقم 4 ("أنسال بني نوح")، رقم 5 ("أنسال سام")، رقم 7 ("أنسال إسماعيل)، رقم 9 ("أنسال عيسو"). علاوةً على ذلك، فإنَّ سلاسل الأنساب الخمس هذه في سِفر التَّكوين تنقسم إلى نوعَيْن. النَّوع الأوَّل هو سلسلة أنساب عموديَّة، تتبع خطّ نسَب واحدًا. ونجده في 5: 1 وما يليها. (رقم 2)، سلسلة أنساب الأجيال العشرة من آدم إلى نوح؛ وفي 11: 10 وما يليها. (رقم 5)، سلسلة أنساب الأجيال العشرة من سام إلى إبراهيم. تنتهي سلسلتا الأنساب هاتان بالإشارة إلى فرد أنجب ثلاثة بنين:

نوح: سام، حام، يافث.

تارح: أبرام، ناحور، حاران.

أمَّا النَّوع الثَّاني من سلاسل الأنساب في سِفر التَّكوين فهو نوع أُفقيّ أو مُجزَّأ، حيث لا يتمّ تتبُّع سلسلة الأنساب من خلال ابن واحد (الأكبر)، ولكن من خلال أبناء متعدِّدين. يوجد ذلك النَّوع في 10: 1 (رقم 4)، أنسال سام/حام/يافث؛ في 25: 12 (رقم 7)، أنسال إسماعيل الاثنا عشر؛ وأخيرًا في 36: 1، 9 (رقم 9)، شجرة عائلة عيسو.[5] تتداخل سلاسل الأنساب الثَّلاث الأخيرة قليلًا مع الأقسام الرِّوائيَّة لسِفر التَّكوين. ويبدو ذلك عَرَضيًّا في بعض المواضع.

5 B. S. Childs, *Introduction to the Old Testament as Scripture* (Philadelphia: Fortress, 1979), p. 145. S. Tengström (*Die Toledotformel und die Literarische Struktur der Priesterlichen Erweiterungsschicht im Pentateuch* [Lund: Gleerup, 1981]).

بخصوص العبارات "سلسلة أنساب سرديَّة" (أيْ تك 5) و"جداول أنساب" أو "شجرة نسب القبيلة" (أيْ تك 10). نحن نستبعِد اقتراح (تِنكستروم) Tengström المستحدَث، بأنَّ المرَّات السَّبع المتبقِّية التي ترد فيها الصِّيغة في سِفر التَّكوين، بعد حذف الأربعة التي تمهِّد لجداول الأنساب (10: 1؛ 25: 12؛ 36: 1، 9)، تهدف إلى موازاة أيَّام الخلق

من الواضح أنَّ أوَّل مرَّات وردت فيها صيغة تُولِدُوت هي أشدُّها إثارةً للاهتمام. وهي المرَّة الوحيدة من بين المرَّات العشْر حيث لا يظهر اسم شخصيّ. بدلًا من ذلك، نقرأ "تُولِدُوت السَّماوات والأرض." هنا تبرز مشكلة تفسيريَّة رئيسيَّة. هل تختتم الصِّيغة الأولى، من تلك الصِّيَغ المُحدِّدة لبنية السِّفر، ما تَمَّ سرده للتَّوِّ، أمْ تمهِّد لِمَا يليها؟ إذا كانت تشير إلى ما سبق، فيجب قراءة 2: 4 أ مع 1: 1-2: 3. وإذا كانت تمهِّد لِمَا يليها، فيجب قراءة 2: 4أ مع 2: 4 ب وما بعدها. علاوةً على ذلك، تتفاقَم المشكلة إلى مشكلة أكبر منها، أيْ: هل يجب قراءة جميع المرَّات التي ترِد فيها صيغة تُولِدُوت على أنَّها عناوين تمهِّد لِمَا يليها، أمْ عبارات ختاميَّة تلخِّص ما يسبقها؟

أوَّلًا، دعونا نفحص 2: 4أ. تتعامل غالبيَّة التَّرجمات الحديثة للكتاب المُقدَّس مع 2: 4أ على أنَّها إشارة مُرفَقة إلى 1: 1—2: 3 (انظُر مثلًا: RSV, JB, NEB, NAB, Speiser). ينعكس ذلك التَّقسيم أيضًا في تنسيق اثنتَيْن من الطَّبعات الأخيرة للكتاب المُقدَّس العبريّ، أيْ *BHK* و*BHS*.[6] وعليه، تكون "مواليد" في 2: 4أ مرتبطة بالنَّمط العدديّ للأيَّام السَّبعة المستعمَل في 1: 1-2: 3.

يمكن القول كذلك إنّ 2: 4أ هي مقدِّمة لما يليها. هذا هو الرَّأي الذي نفضِّله، وذلك للأسباب التَّالية. أوَّلًا، نكون قد أوجدنا مشكلة مستعصِية إذا ألحقنا 2: 4أ بـ 1: 1-2: 3، وصمَّمنا، على الرَّغم من ذلك، على وجود قصَّة خلْق كهنوتيَّة (1: 1-2: 3)، وأُخرى يَهوهيَّة (2: 4ب وما تليها). يوافق جميع الشَّارحين تقريبًا (قد أشرنا إلى الاستثناءات أدناه)، على أنَّ العبارة المعنيَّة تقوم في كلِّ مكان آخر في سِفر التَّكوين بدور العنوان العلويّ أو التَّمهيديّ Superscript. أمَّا هنا، فستكون المرَّة الوحيدة التي تقوم فيها بدور التَّذييل الختاميّ Subscript. استَرعت هذه النُّقطة انتباه (فون راد) von Rad، فحاول أنْ يبرهن بطريقة مصطنعة على أنَّ المحرِّر الكهنوتيّ أقحم الصِّيغة بصورة غير معهودة في ختام المقطع لسببَيْن. أوَّلهما وَلَعه بالتَّرتيب والنِّظام، من ثَمَّ وجود ذلك العنوان لإبراز هذه البنية المُتقَنة. أمَّا الثَّاني فهو أنَّ بداية الأصحاح كانت ثابتة قانونيًّا (في لائحة الأسفار)، وبالتَّالي، لا يمكن المساس بها.[7]

ولكن يبدو غريبًا أنْ نَصِف سبعة أيَّام الخلْق بأنَّها "أجيال." ففي جميع الحالات الأُخرى التي تُستعمَل فيها تُولِدُوت، تدلّ على أنسال فُلان من النَّاس بالتَّوالد، أو تقدِّم سردًا عن أنسال

السَّبعة في P (المصدر الكهنوتيّ). فكيف يمكن للكاتب القديم أن يميِّز بين الفئتَين اللَّتَين يضع فيهما (تِنكستروم) الاستخدامات الأحد عشر للصِّيغة في سفر التَّكوين؟

6 R. Kittel, ed., *Biblia Hebraica. 3rd ed. Stuttgart: Württembergische Bibelanstalt, 1937.*

K. Elliger and W. Rudolph, eds., *Biblia Hebraica Stuttgartensia. Stuttgart: Deutsche Bibelstiftung, 1967–1977*

7 G. von Rad, *Genesis,* OTL, rev. ed., tr. J. H. Marks (Philadelphia: Westminster, 1972), p. 63.

فُلان. لذلك، وجَب على من يربط 2: 4أ بما حدث من قبل، أنْ يخترِع معنًى مُحرِجًا وفريدًا في نوعه لصيغة تُولِدُوت في 2: 4أ.

أمَّا السَّبب الثَّاني لقراءة الصِّيغة في 2: 4أ على أنَّها عنوان علويّ أو تمهيديّ فهو أنَّ التَّرجمات القديمة (انظُر مثلًا: السَّبعينيَّة) لا تقدِّم أيَّ دليل داعِم لتقسيم 2: 4. فإن كان هناك فاصل على الإطلاق لَجاء في 2: 3، لا في 2: 4أ. لاحظ أنَّ التَّقليد اليهوديّ (المَسُورَاة) يدعم وِحدة 2: 4. فالنَّصّ المَسوريّ بشكل عام يقسِّم سِفر التَّكوين إلى واحد وتسعين *pārāšyôṯ* [فَاراشيوُت] ('قسمًا، فصلًا') ثلاثة وأربعون منها *pᵉṯûḥôṯ* [فِتُوحوُت] (مفتوحة)، ويُشار إليها بحرف الـ *p*، وثمانية وأربعون منها *sᵉṯûmôṯ* [سِتُومُوت] (مُغلَقة)، ويُشار إليها بحرف الـ *s*.[8] لاحظ أنَّ 2: 4أ تبدأ واحدًا من تلك الأقسام المفتوحة (فِتُوحوُت).[9]

ثالثًا، حيث إنَّ الصِّيغة تأتي دائمًا متبوعة بـ"الوالد في موقع المضاف إليه، لا بالمواليد،" فلا يمكن أنْ تشير العبارة إلَّا إلى ما تَولَّد عن السَّماوات والأرض، وليس إلى ولادة أو نشأة السَّماوات والأرض نفسها.[10] على هذا الأساس، لا يمكن قراءة الصِّيغة إلَّا باعتبارها إشارة إلى ما يليها. هكذا، فإنَّ 2: 5 وما يليها تصِف الرَّجل والمرأة بأنَّهما "مَولُودا السَّماوات والأرض،" كما أنَّ شيئًا من "مواليد" آدم وأبرام من "مواليد" تارح.

قد يكون هناك سبب متعمَّد لهذا التَّوصيف. ففي الأصحاح الافتتاحيّ من سِفر التَّكوين، يحمل الذَّكَر والأُنثَى –اللَّذان خلقهما الله– صورة الله ومثاله. ومن المحتمل أنَّ الأقدمين فهموا هذه المَلَكات الفريدة في نوعها على أنَّها تؤهِّل آدم وحوَّاء لأنْ يكونا *tôlᵉḏôṯ ʾᵉlōhîm* [تُولِدوُت إلُوهِيم]، أيْ مَولودَي الله. لا يتردَّد العهد القديم عمومًا في تصنيف أفراد معيَّنين (خاصَّةً الملوك) على أنَّهم "بنو الله،" لكنَّ العبارة غائبة بشكل واضح من تك 1-2. فـ 'بنو الله' الوحيدون في سِفر التَّكوين هم كائنات مرفوضة بسبب شهوتها الجامحة (6: 1-4). نقترح أنَّ 2: 4 وما يليها تشكِّل القطب الآخر المكافئ لـ 1: 1–2: 3، وأنَّها *kᵉnegḏô* [كِنِجْدُو] ('مُكمِّلة') للجزء 1: 1–2: 3، كما كانت حوَّاء مُكمِّلة لآدم. فالواحدة من دون الأُخرى ناقصة، والواحدة ليست

8 On *pārāšîyôṯ, sᵉḏārîm, pᵉṯuḥôṯ*, and *sᵉṯumôṯ*, see A. Dotan, "Masorah," *EncJud,* 16: 1406–7.

9 القسم المفتوح يُشبه الفقرة، حيث ينتهي نصّ القسم السَّابق قبل نهاية العمود (مع ترْك مسافة في نهاية السَّطر)، ويبدأ القسم 'المفتوح' الجديد في بداية السَّطر التَّالي (ولكن من دون مسافة بادئة). غالبًا ما تدلّ الأقسام المفتوحة على بداية موضوع جديد، أو تقسيمة رئيسيَّة داخل السِّفر، بينما تدلّ الأقسام المغلقة على وحدات أصغر أو تقسيمات ثانويَّة. هذا يعني أنَّ الآية 2: 4 تبدأ فقرة جديدة وأنَّ هذه الفقرة تشتمل على موضوع جديد مستقلّ عمَّا قبله. وهذا يدعم اعتبار صيغة تُولِدُوت هنا تمهيدًا لِمَا بعدها (المُترجِم).

10 J. Skinner, *A Critical and Exegetical Commentary on the Book of Genesis,* ICC (Edinburgh: T. & T. Clark, 1910), p. 41. See also B. Childs, *Introduction,* p. 145; and F. M. Cross, *Canaanite Myth and Hebrew Epic* (Cambridge: Harvard University, 1973).

را ص 301-305، وخاصّةً ص 302 لمناقشته مطوَّلة عن 2: 4أ.

أصدق، أو أهمّ، أو ألزَم من الأخرى. ومثلما يركِّز 1: 1–2: 3 على الأصول الإلَهيَّة للبشريَّة ومَلَكاتها، تركِّز 2: 4 وما يليها على الأصول الأرضيَّة للبشريَّة. لهذا السَّبب، يلفِت 1: 1–2: 3 انتباهنا إلى الزَّوجَين الأوَّلَين اللَّذَين خُلِقا ولهما سلطة على الأكل: ("لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا": 1: 29)، بينما 2: 4 وما يليها تلفت انتباهنا إلى الزَّوجَين الأوَّلَين اللَّذَين خُلِقا محرومَين من سُلطة الأكل: ("فَلَا تَأْكُلْ": 2: 17).

فلِلأسباب المذكورة أعلاه، نُفضِّل أنْ نفهم 2: 4أ على أنَّها عنوان تمهيديّ لما يليها، ومقدِّمة للوحدة الأولى من الوحدات العشْر التي يتألَّف منها سِفر التَّكوين، والمسبوقة جميعًا بوحدة تمهيديَّة (1: 1–2: 3). نوجِّه انتباهنا الآن إلى الحالات التِّسع المتبقِّية من هذه الصِّيغة.

من المُسلَّم به عمومًا أنَّ جميع صيغ [تُولِدوُت]، باستثناء 2: 4أ، تقوم في سِفر التَّكوين بوظيفة العناوين التي تمهِّد لوحدة جديدة. بينما يرى عدد من الكُتَّاب أنَّها بيانات ختاميَّة Colophons. يمكن تعريف البيانات الختاميَّة بأنَّها ملحوظة توضع عادةً في نهاية كتاب أو مخطوط، وتحتوي على معلومات متعلِّقة بإنتاجه (مثلًا اسم الكاتب).

وجود البيانات الختاميَّة في أدب الشَّرق الأدنى القديم أمر تشهد عليه الوثائق جيِّدًا. وللأدب المسماريّ لبلاد ما بيْن النَّهرَين نصيب الأسد في هذا المضمار. نحن مدينون لمجهود (ه. هانكر)، الذي جمَّع 563 بيانًا ختاميًّا في نصوص أدبيَّة أُلِّفَت على مدى ألفيْ عام.[11] يعرِّف (هانكر) البيانات الختاميَّة على أنَّها "ملحوظة مُرفَقة بنصّ بقلَم النَّاسخ في نهاية اللَّوح، تتضمَّن المحتويات الأدبيَّة، وبيانات حول اللَّوح والأشخاص المرتبطَين بإنتاجه." أحصى (هانكر) في مقدِّمة كتابه، أنواع المعلومات الواردة في البيانات الختاميَّة، أيْ: المعلومات الببليوغرافيَّة (مثلًا: السَّطر التَّعريفيّ، عنوان العمل، رقم اللَّوح، عدد السُّطور)، البيانات الشَّخصيَّة (مثلًا: أسماء كاتب اللَّوح، أو مالكه، أو مَن كلَّف نَقشه)، الغرض من الكتابة، أمنيات، لعنات، صلوات، التَّاريخ. من إجمالي الـ 563 بيانًا ختاميًّا التي جمعها (هانكر)، يعود رقم 1–39 إلى العصر البابليّ القديم؛ ورقم 40-72 إلى العصر البابليّ الأوسط/الآشوريّ؛ ورقم 75–563 إلى أواخر العصر البابليّ/الآشوريّ. بعبارة أُخرى، يعود 491 من البنود إلى فترة لاحقة لسنة 1000 ق. م.

11 H. Hunger, *Babylonische und assyrische Kolophone* (Kevelaer: Verlag Butzon and Berker/Neukirchen-Vluyn, 1968). See also the study by E. Leichty, "The Colophon," in *Studies Presented to A. Leo Oppenheim,* ed. R. D. Briggs and J. A. Brinkman (Chicago: Oriental Institute, 1964), pp. 147–54.
بخصوص البيانات الختاميَّة التي تظهر على كلٍّ من الألواح الثَّلاثة من النُّسخة البابليَّة القديمة من (أترا-خسيس) انظر: W. G. Lambert and A. R. Millard, *Atra-ḫasīs*: *The Babylonian Story of the Flood* (Oxford: Clarendon, 1969), pp. 31–32.
تتضمَّن هذه البيانات الختاميَّة: تاريخ الكتابة (الشَّهر/اليوم/اسم الملك [عمّي-صَدُقَ])، العنوان، عدد الأسطر، واسم النَّاسخ ("كتبه كو-آيا، الكاتب الأصغر").

تتَّضح من دراسة (هانكر) حقيقتان رئيسيَّتان. أوَّلًا، لا يُذكَر اسم المؤلِّف في البيانات الختاميَّة الأكاديَّة؛ وثانيًا، تأتي الكولوفونات (البيانات الختاميَّة) دائمًا في نهاية النَّصّ.

كذلك كانت البيانات الختاميَّة تُستخدَم في كنعان، كما يتَّضح من (أوكاريت). فقد ورد العنوان التَّالي في *UT*،[12] 62: 'لبعل،' ثُمَّ المتن الرَّئيسيّ للنَّصّ، وهو ينتهي بهذا البيان الختاميّ: "النَّاسخ هو (أليمالك الشّبنيّ). الرَّاوي هو (أتن-پرلن)، كبير الكهنة (و) رئيس الرُّعاة (الطّعيّ). (مُؤَرَّخ في عهد) (نِقمَد)، ملك أُوكاريت، (سيّد يرجب)، ربّ طمرن."[13] وتنتهي ملحمة 'أقهَت' الطَّويلة والمهمَّة بهذا البيان الختاميّ: "الكاتب هو (أليمالك الطّعيّ).[14] وينتهي UT، 51 بهذا البيان الختاميّ: "(الطّعي؛ نِقمَد)، ملك أُوكاريت."[15] وهو عبارة عن سطر على حافَّة اللَّوح يشير إلى اسم الكاتب (الذي ينتمي إلى قبيلة طع) واسم الملك (نِقمَد الثَّاني) الذي نُقِش اللَّوح في عهده. ومع ذلك، في عديد من لوحات أُوكاريت، تكون بداية النَّقش ونهايته مفقودتَين أو باهتَتين جدًّا بحيث تتعذَّر قراءتُهما. لذلك، لم تصلنا معظم العناوين أو البيانات الختاميَّة. وعلى عكس الأدب المسماريّ، يتَّضح من النُّصوص الهيروغليفيَّة المصريَّة قلَّة استعمالها للبيانات الختاميَّة.[16]

أمَّا بالنِّسبة إلى الكتاب المُقدَّس العبريّ، فلا نحتاج إلى البحث كثيرًا حتَّى نعثر على البيانات الختاميَّة.17 بغضِّ النَّظر عن مرَّات ورود صيغة [تُولِدُوت]، يمكننا الاستشهاد بمقاطع مثل تك 10: 20، 31-32 ("هَؤُلَاءِ بَنُو/عائلات حَامِ/سَام/نُوح")؛ 22: 23 "هَؤُلَاءِ ٱلثَّمَانِيَةُ وَلَدَتْهُمْ مِلْكَةُ لِنَاحُورَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ")؛ 25: 4ب ("جَمِيعُ هَؤُلَاءِ بَنُو قَطُورَةَ")؛ 25: 16 "هَؤُلَاءِ هُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ." 35: 26ب ("هَؤُلَاءِ بَنُو يَعْقُوبَ")؛ 36: 5 ("هَؤُلَاءِ بَنُو عِيسُو".) 49: 28أ ("جَمِيعُ هَؤُلَاءِ هُمْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ ٱلِٱثْنَا عَشَرَ"). لمزيد من المعلومات من خارج سِفر التَّكوين، را خر 6: 15ب، 24ب، 25ب؛ 19: 6ب؛ 38: 21؛ 13؛18 تث 28: 69 (عربيّ 29: 1).

تشترك شواهد العهد القديم هذه في أنَّها جُمل اسميَّة مسبوقة باسم الإشارة "هؤلاء؛" وتقوم بوظيفة البيان المُوجَز؛ وتختتم سلسلة أنساب (باستثناء خر 38: 21 وتث 28: 69 [عربيّ 29: 1] –فهي تلخِّص خُطبًا أو أنشطة). إذا بحثنا عن بيان ختاميّ في العهد القديم وظيفته تمهيديَّة وليست تلخيصيَّة، فرُبَّما يكون مقطع تث 4: 45-49 هو أقرب شيء نجده: ("هَذِهِ هِيَ

12 Cyrus H. Gordon, *Ugaritic Textbook. AnOr 38. Rome: Pontifical Biblical Institute, 1965*.

13 Cyrus H. Gordon, *Ugarit and Minoan Crete* (New York: Norton, 1966), p. 87.

14 المرجع السّابق، ص 120.

15 Cyrus H. Gordon, *Ugaritic Textbook. AnOr 38. Rome: Pontifical Biblical Institute, 1965*, p. 74.

16 J. Černý, *Paper and Books in Ancient Egypt* (London: H. K. Lewis, 1952), pp. 24ff.

17 H. M. L. Gevaryahu, "Biblical colophons: a source for the 'biography' of authors, texts, and books," in *Congress Volume: Edinburgh, 1974,* VTSup 28 (Leiden: Brill, 1975), pp. 42–59.

18 F. I. Andersen, *The Sentence in Biblical Hebrew* (The Hague/Paris: Mouton, 1974), p. 54 (§ 3.7.5.2).

ٱلشَّرِيعَةُ ٱلَّتِي وَضَعَهَا مُوسَى أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...")". هذا البيان الختاميّ المُوسَّع هو تلخيص لتثنية 1—4، أو على الأرجح في رأينا عنوان يمهِّد لتثنية 5 وما يليه.

لا يوجد شيء تُمكن مقارنته بالبيانات الختاميَّة التي استشهَدنا بها من الأدب الأُوكاريتيّ (أيْ ملحق في نهاية النَّصّ)، إلَّا في نهاية أستير بحسب السَّبعينيَّة: "في السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِن مُلكِ بَطْليمُس وكليّوپاترا، أَتى دوزيثِيُس، القائلُ إنَّه كاهِنٌ ولاويْ، وبَطْليمُسُ ٱبنُه، بِالرِّسالَةِ المَذْكورةِ والخاصَّةِ بفوريم، وصَرَّحا بِأَنَّها أَصلِيَّةٌ وبِأَنَّ مُتَرجِمَهَا هو 'ليسيماخُسُ بنُ بَطْليمسَ' الَّذي مِن أفراد أهل أُورَشَليم."[19]

نعود إلى صيغة "هذه تُولِدُوت ..." في سِفر التَّكوين. إذا اتَّفقنا على أنَّ هذه الأمثلة العشرة في سِفر التَّكوين هي بيانات ختاميَّة في النَّصّ الكتابيّ، فيجب علينا، بعد ذلك، أنْ نقرِّر إذا كانت الصِّيغ تمهيديَّة (وهو رأي الأغلبيَّة)، أو تلخيصيَّة (وهو رأي الأقليَّة). لقد ذكرنا في المناقشة الموجَزة السَّابقة أنَّ البيانات الختاميَّة في النُّصوص المسماريَّة ترِد دائمًا في نهاية النُّصوص. وينطبق الشَّيء نفسه على البيانات الختاميَّة من شاكلة "هؤلاء..." أو "هذه..." المنتشرة في أنحاء أسفار موسى الخمسة.

ومع ذلك، فقد دافعنا أعلاه عن قراءة 2: 4أ كمقدِّمة لـ 2: 4ب وما بعدها. فهي تمهِّد لِما يليها، عوضًا عن أنْ تلخِّص 1: 1-2: 3. وبالمِثل، يبدو منطقيًّا أنْ نقرأ المثال الثَّاني للصِّيغة (5: 1أ) كعنوان يمهِّد لما يليه (5: 1ب وما بعدها)، وهكذا دواليك.

في عام 1936 قام 'پ. ج. وايزمان' بأوَّل محاولة مُنسَّقة لتحدِّي رأي الأغلبيَّة.[20] وتبعه في ذلك ابنه 'د. ج. وايزمان' و'ر. ك. هاريسُن'.[21] وكانت حجَّتهم الرَّئيسيَّة لقراءة البيانات الختاميَّة على أنَّها خُلاصات لِمَا قبلها، بصرف النَّظر عن الأمثلة المُستقاة من الأدب غير الكتابيّ، هي كالتَّالي: في عدَّة حالات، تظهر معظم المعلومات الموجودة في نصِّ الكتاب المُقدَّس عن الشَّخص المذكور في الصِّيغة قبل الاسم نفسه. مثلًا: يظهر اسم آدم في 5: 1، لكن كلّ شيء عن آدم يسبق 5: 1 باستثناء خبر وفاته. وفي 37: 2 يظهر اسم يعقوب، لكنَّ أخبار يعقوب تسبق

19 Translation of C. A. Moore, *Esther,* AB (Garden City, NY: Doubleday, 1971), pp. 112–13. Earlier treatments of this addition are found in E. Bickerman, "The Colophon of the Greek Book of Esther," *JBL* 63 (1944) 339–62; R. Marcus, "Dositheus, Priest and Levite," *JBL* 64 (1945) 269–71.

20 P. J. Wiseman, *New Discoveries in Babylonia about Genesis* (London: Marshall, 1936).

أُعيد طبع الكتاب مؤخَّرًا بعنوان

Ancient Records and the Structure of Genesis (Nashville: Nelson, 1985),

وزُوِّد بمقدِّمة بقلم ابن المؤلِّف، 'د. ج. وايزمان'، عالِم الآشوريَّات الشَّهير، ومقدِّمة بقلم 'ر. ك. هاريسُن'.

21 R. K. Harrison, *Introduction to the Old Testament* (Grand Rapids: Eerdmans, 1969), pp. 543–47; idem, "Genesis," *ISBE,* 2:436–37.

37: 2. وما يلي 37: 2 هو في مُجمَله خبر عن يوسف. وهكذا، يبدو أنَّ الصِّيغة تشير إلى خاتمة الوحدة لا إلى مَطلعها.

يفترض ذلك الاقتراح وجود أحَدَ عشر لوحًا أدبيًّا أو وحدة في سِفر التَّكوين، أُلحِق بها خبر يوسف:

لوح 1: 1: 1—2: 24: تاريخ/نشأة الكون.
لوح 2: 2: 5-5: 2: تاريخ/نشأة آدم/البشريَّة.
لوح 3: 5: 3-6: 9أ: تاريخ/نشأة نوح.
لوح 4: 6: 9ب 10: 1: تاريخ/نشأة بني نوح.
لوح 5: 10: 2-11: 10 أ: تاريخ/نشأة سام.
لوح 6: 11: 10ب 27 أ: تاريخ/نشأة تارح.
لوح 7: 11: 27ب 25: 12: تاريخ/نشأة إسماعيل.
لوح 8: 25: 13-19أ: تاريخ/نشأة إسحاق.
لوح 9: 25: 19ب 36: 1: تاريخ/نشأة عيسو (ويعقوب).
لوح 10: 36: 2-9: تاريخ/نشأة عيسو.
لوح 11: 36: 10-37: 2أ: تاريخ/نشأة عائلة يعقوب.

لا يتعلَّق ذلك الاقتراح بالطَّبع بقضيَّة بنية سِفر التَّكوين فحسب، بل أيضًا بكتابة سِفر التَّكوين وتركيبه. وسنناقش هذه المسألة الثَّانية في قسم لاحِق من هذه المقدِّمة.

لا يَسلَم اقتراح 'وايزمان-هاريسُن' من عدَّة مشاكل. أوَّلًا، في الحالات الخمس التي تسبق فيها الصِّيغة سلسلةَ الأنساب (5: 1؛ 10: 1؛ 11: 10؛ 25: 12؛ 36: 1)، من الصَّعب عدم ضمِّ البيانات الختاميَّة إلى ما يليها. قد أقرَّ 'دِويت' DeWitt بهذه النُّقطة، إلَّا أنَّه يرغب في الاحتفاظ بالخطوط العريضة الأساسيَّة لمنهج 'وايزمان-هاريسُن'.[22] أمَّا منهجه فيقوم على قراءة "هذه هي أجيال" باعتبارها بيانًا ختاميًّا في الجزء السُّفليّ من اللَّوح لتحديد محتوياته، مع العلم بأنَّ البيان الختاميّ يدلّ على التَّأريخ على وجه اللَّوح، وسلسلة الأنساب المنقوشة على ظهر اللَّوح. يَخلُص 'دِويت' DeWitt إلى عشرة ألواح بدلًا من الأحد عشر لوحًا التي يفترضها 'وايزمان' و'هاريسُن'، وفكرته تفترض حدوث إعادة بناء ضخمة للنَّصّ عند تطوُّر النَّصّ من ترتيبه على الألواح، إلى التَّرتيب القانونيّ المكتوب (انظر مثلًا اللَّوحين 9 و10 عنده).

أمَّا المشكلة الثَّانية التي ظهرت بسبب إعادة بناء 'وايزمان-هاريسُن' للنَّصّ، فهي أنَّه يقترح أنَّ إسماعيل كان مسؤولًا بشكل أساسيّ عن حفظ تاريخ إبراهيم (11: 27ب 25: 12، اللَّوح 7)، وأنَّ إسحاق كان مسؤولًا عن حفظ تاريخ إسماعيل (25: 13) 19أ، اللَّوح 8)، وأنَّ عيسو حافَظ

22 D. S. DeWitt, "The Generations of Genesis," *EvQ* 48 (1976) 196–211.

على تاريخ يعقوب (25: 19ب 36: 1، اللَّوح 9)، وأنَّ يعقوب حافَظ على تاريخ عيسو (36: 10-37: 2، اللَّوح 11).[23] فأقلُّ ما يُقال في حقِّ هذا التَّفسير إنَّه غير ممكِن.

المشكلة الثَّالثة هي طريقة تفسير ذلك الرَّأي للكلمة العبريَّة *tôlᵉḏôṯ* [تُولِدُوت]. يأتي هذا الاسم من الفعل *yālaḏ* [يَلَاد] ('أنجب، ولد، حمل') ويجب أنْ يشير إلى ما يولد أو يُنتَج، أيْ النَّتيجة التَّاريخيَّة. تقدِّم لنا صيغة الإضافة "هذه تُولِدُوت كذا" نقطة البداية، أي المنشأ. ويقدِّم لنا الاسم تُولِدُوت الختام أو النَّتيجة.[24] وعليه، فإنَّ تُولِدُوت الكونِ محورُها آدم وحوَّاء، بالمقارنة مع أجزاء الخلْق الأُخرى. وتُولِدُوت نوح محورُها سام، بالمقارنة مع الأبناء الآخَرين. وتُولِدُوت سام محورُها تارح، بالمقارنة مع نسله الآخَر. وتُولِدُوت تارح محورُها أبرام، بالمقارنة مع ابنَيه الاثنَين الآخرَين. وتُولِدُوت إسحاق محورُها يعقوب، بالمقارنة مع ابنه الآخَر. وتُولِدُوت يعقوب محورُها يوسف، بالمقارنة مع إخوته الآخَرين. تركِّز صيغة تُولِدُوت، إذًا، على شخصيَّة واحدة، وتستبعد الأفراد الأقلّ أهمِّيَّة. بهذه الطَّريقة، يقدِّم سِفر التَّكوين الدَّليل على وحدته الأدبيَّة واللَّاهوتيَّة. ومن الواضح أنَّ تلك الأخبار ليست سِيَر حياة. فلو كانت كذلك، لَكان لدينا 'تُولِدُوت' إبراهيم ويوسف. بدلًا من ذلك، تقترح بنية سِفر التَّكوين المبنيَّة على صيغة تُولِدُوت وجود حركة من نقطة الانطلاق إلى نقطة الانتهاء، من المُسبِّب إلى النَّتيجة، من السَّلف إلى الخَلَف، وهذا الأخير هو الشَّخص المفتاحيّ في تلك المرحلة في تنفيذ - أو استمراريَّة - خطَّة الله ومشيئته في السَّماوات وعلى الأرض التي خلقها.

إذا صرفنا النَّظر عن صيغة تُولِدُوت، لا نلبَث أنْ نلاحظ مؤشِّرات أُخرى على التَّصميم الإنشائيّ في سِفر التَّكوين. مثلًا: هناك تصميم جغرافيّ واضح في السِّفر. فالأصحاحات من 1 إلى 11 تجري أحداثها في بابل. والأصحاحات 12-36 تجري أحداثها في فلسطين. أمَّا الأصحاحات 37-50 فتجري أحداثها في مصر.[25] بعبارة أخرى، يسلِّط سِفر التَّكوين الضَّوء على كلِّ منطقة من عالم البحر المتوسِّط في جزء ما من أجزائه.[26] أمَّا القسم المركزيّ والمهمّ في سِفر التَّكوين (الأصحاحات 12-36) فيحيط به جغرافيًّا قسمان من عالم الشَّرق الأدنى، سيكون تاريخ إسرائيل مرتبطًا بهما باستمرار. إنَّ التَّأثير الذي توجِده تلك المعالم الجغرافيَّة الواسعة هو

23 See D. Kidner, *Genesis,* TOTC (Downers Grove, IL: Inter-Varsity, 1979), p. 24.

24 M. H. Woudstra, "The *Toledot* of the Book of Genesis and Their Redemptive-Historical Significance," *CTJ* 5 (1970) 187.

25 يظهر النَّوع نفسه من التَّقسيم الجغرافيّ الثُّلاثيّ في سفر الخروج: (1) خر 1: 1-12: 36، في مصر؛ (2) خر 12: 37-18: 27 إلى سيناء؛ (3) خر 19: 1-40: 38 في سيناء.

26 W. W. Hallo, "Biblical History in Its Near Eastern Setting: The Contextual Approach," in *Scripture in Context: Essays on the Comparative Method,* ed. Carl D. Evans, et al., PTMS 34 (Pittsburgh: Pickwick, 1980), p. 15; idem, "Genesis and Ancient Near Eastern Literature," in *The Torah: A Modern Commentary. Genesis,* ed. W. G. Plaut (New York: Union of American Hebrew Congregations, 1974), 1: xxix.

ظهور سِفر التَّكوين في شكل كتاب عن تاريخ العالم. ولا يصحُّ هذا في الأصحاحات الافتتاحيَّة التي تتناول نشأة الكون والجنس البشريّ فقط، بل في جميع الرِّوايات التَّالية أيضًا. إنَّ السَّبب النِّهائيّ لاختيار إبراهيم هو حصول شعوب الأرض (ومنها الشُّعوب الواقعة ضمن الحدود الجغرافيَّة للأصحاحات 1-11 و37-50) على معرفة الله وبركاته.

تتَّضح نقطة أُخرى عند استعراضنا سِفر التَّكوين، باحثين عن تصميمه الإنشائيّ. ليس من قبيل الصُّدفة أنْ تصِف أربعة أخماس التَّكوين (الأصحاحات 12-50) تاريخ أربعة أجيال فقط (من إبراهيم إلى يوسف)، بينما يصِف خُمس السِّفر (الأصحاحات 1-11) تاريخ عشرين جيلًا (من آدم إلى إبراهيم). فما سِرُّ انشغال التَّكوين إلى أقصى حدٍّ بالأجيال الأربعة، وإعطاء الأجيال العشرين الأولى الحدّ الأدنى من الاهتمام؟[27] وكامتداد لهذه النُّقطة، لماذا لا تحصل قصَّة الخلْق، وهي بالتَّأكيد جزء لا غِنى عنه من سِفر التَّكوين، والكتاب المُقدَّس كلّه في الحقيقة، إلَّا على أصحاحَين يتيمَين، بينما تستحوذ قصَّة إبراهيم على ثلاثة عشر أصحاحًا وجُزءًا من أصحاحَين آخرَين؟ لماذا يقتصِر خبر 'السُّقوط' على أصحاح واحد، بينما تشغل رواية يوسف الثُّلث الأخير من سِفر التَّكوين؟

يقدِّم الفاصل الواضح بين الأصحاحَين 11 و12 أدلَّة كافية على تقسيم سِفر التَّكوين إلى قسمَين رئيسيَّين. الأوَّل يتضمَّن الأصحاحات 1-11، ويوصَف بأنَّه تاريخ أوَّليّ (أيْ قديم). والثَّاني يشمل الأصحاحات 12-50، ويوصَف بأنَّه تاريخ آبائيّ (تاريخ البطاركة). نقرأ في الأصحاحات 1-11 عن أفراد كانوا يملكون أرضًا، لكنَّهم إمَّا يفقدونها وإمّا يُطرَدون منها. أمَّا في الأصحاحات 12-50 فينصبّ التَّركيز على أفراد لا يملكون أرضًا، ولكنَّهم في طريقهم إليها. طائفة تخسَر، وأُخرى تنتظِر.[28]

في الأصحاحات من 1 إلى 11 نجد، من خلال الرِّوايات الواردة فيها، إمَّا اغترابًا متزايدًا عن الله (رأي فون راد)، وإمّا أمثلة على تنوُّع اغتراب البشريَّة عن الله واتِّساع نطاقه، مع غياب التَّشديد على زيادة الشَّرِّ أو الخطيئة (رأي ڤيسترمان). بعد سلسلة من الأمثلة المؤسفة الواردة في الأصحاحات من 1 إلى 11، المُفترَض أنْ نقرأ الأصحاح 12 وما يليه (تاريخ الآباء) على أنَّه حلٌّ لهذه المشكلة. فهل يكون هناك مزيد من أمثال آدم ومزيد من بُناة البُرج؟ أمْ هناك وسيلة للخروج

27 يظهر عدم التَّناسب نفسه في أسفار موسى الخمسة عمومًا. فسِفر التَّكوين، وهو يغطِّي الفترة الزَّمنيَّة الممتدَّة من خلق العالم إلى يوسف، يشغل حوالى 25 بالمئة من إجمالي نصِّ الأسفار الخمسة. أمَّا سفرا الخروج والتَّثنية، وهما يغطِّيان الـ 120 سنة التي عاشها موسى فقط، فيشغلان 75 بالمئة من إجمالي نصّ الأسفار الخمسة. را:

R. P. Knierim, "The Composition of the Pentateuch," in *SBLASP*, 1985, p. 395.

28 W. Brueggemann, *The Land,* OBT 1 (Philadelphia: Fortress, 1977), p. 15.

من تلك الورطة؟ وإذا بنموذج إبراهيم المطيع يتناقض مع جميع النَّماذج المؤسفة التي سبقته.[29] ذلك أنَّه شخص لا يسعى إلى تعظيم اسمه بنفسه، بل يحصل على العظمة كمنحة. والآن يجري تعزيز العهد مع الجنس البشريّ (تك 8-9) من خلال ميثاق مع عائلة معيَّنة. وينقلنا سِفر التَّكوين تدريجيًّا من الخلْق (الأصحاحَين 1-2)، إلى انحطاط الخلْق (الأصحاحات 3-11)، ثُمَّ إلى إعادة الخلْق (الأصحاحات 12-50).

ثالثًا: التَّركيب

احتدم النِّقاش حول تركيب سِفر التَّكوين على مرحلتَين غير متساويتَين خلال الألفيْ عام الماضيَين. لِمَا يقرب من ثَماني مئة عام (المرحلة الأولى) لم يُشكِّك أحد في وحدة سِفر التَّكوين، سواء من جانب العلماء اليهود، أو علماء الكنيسة المسيحيِّين. وهكذا، فإنَّ 'موسى بن ميمون' في اليهوديَّة، و'أوغسطينوس' في الكاثوليكيَّة، و'كلڤن' في البروتستانتيَّة، لم يختلفوا في مسألة أصالة سِفر التَّكوين وتركيبه. فبالنِّسبة إليهم جميعًا، كان سِفر التَّكوين عملًا موحَّدًا، بل بشكل أكثر تحديدًا: عملًا من تدوين النَّبيّ موسى. لكنَّ العُرف قد جرى اليوم على تصنيف مثل هذا النَّهج بأنَّه 'تقليديّ' أو 'سابق لعصر النَّقد.' أمَّا المصطلح الأخير بالذَّات فالمقصود به التَّجريح، لأنَّه يُوحِي بأنَّ مثل هؤلاء الكُتَّاب قليلو الفائدة في تفسير النَّصّ الكتابيّ، ولا نفع منهم إلَّا في سَدِّ الفراغ عند معالجة تفسير سِفر التَّكوين من ناحية تاريخيَّة أو تقليديَّة. وبالتَّالي، فإنَّ مساهمتهم الإجماليَّة قد عفا عليها الزَّمن. ومن ثَمَّ، غالبًا ما يتجاهل العلماء المعاصرون – مع الأسف – الأفكار الصَّحيحة التي قدَّمها أولئك، مقارنةً بدراسات يُفترَض أنَّها أنسَب وأصوَب. من المؤكَّد أنَّ هؤلاء العلماء السَّابقين لعصر النَّقد لم يكُن تحت تصرُّفهم بعض أساليب البحث التَّاريخيّ المتاحة للباحث الحديث. لكن، حتَّى لو كانت لديهم إمكانيَّة الوصول إلى مثل تلك الوسائل المساعِدة الحديثة، فأظنُّ أنَّ 'ابن عزرا' كان سيتحمَّس لقبول المصدر اليهوهيّ، أو أنَّ 'لوثر'، المنشغِل باستئثار الكنيسة الكاثوليكيَّة بالوساطة بين الله والبشر، كان سيُطيل الشَّرح في كتاباته عن تقاليد سِفر التَّكوين الكهنوتيَّة. كما لا يبدو أنَّ المصدر 'الإلوهيميّ' كان سيقع ضمن اهتمامات 'كلڤن'، لاهوتيّ جنيڤ الشَّهير.

رُغم أنَّ عُمر الفترة الثَّانية من التَّفسيرات يبلغ ما يقرب من مئتيْ عام، فإنَّ هذه التَّفسيرات تهيمن اليوم إلى درجة أنَّها حلَّت محلّ النَّهج الأقدم 'السَّابق لعصر النَّقد' باعتبارها النَّهج التَّقليديّ. ومَن تحدَّاها خاطَر بأن يوصَف بالهرطقة، أو يُتَّهم بالتَّعتيم، أو في أسوإ الأحوال بأنَّه 'أُصوليّ.

29 G. Coats, "The God of Death: Power and Obedience in the Primeval History," *Int* 29 (1975) 234.